الجـزء
الثالـث

العلاقـات الدوليـة

تأليف

د. محمد ابراهيم الحلوة

*ملاحظة: هذا الجزء هو فصل من كتاب «العلاقات الدولية: دراسة في العوامل والظواهر وصنع القرار» تأليف الدكتور محمد ابراهيم الحلوة

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة :

ظهرت العلاقات الدولية كحقل من حقول المعرفة في أوائل العشرينات وبالتحديد بعد الحرب العالمية الأولى. وحينما ظهرت كان اهتمامها الرئيسي يتركز حول الاحداث المعاصرة والتي كانت الحرب العالمية الأولى أبرزها. لذا كان معظم الاهتمام يدور حول موضوع الحرب، أسبابها والوسائل التي يجب أن توجد لتحول دون تكرارها. بالاضافة الى ذلك اهتمت العلاقات الدولية بمسائل الحدود والمستعمرات وكذلك مسألة نزع السلاح ومسألة الحرب[1].

بعد الحرب العالمية الثانية زاد الاهتمام بشكل ملحوظ بالعلاقات الدولية بصفة عامة والسياسات الدولية بصفة خاصة وكان السبب وراء ذلك الاهتمام التطورات التالية:

١ ـ التطور السريع في أسلحة الحرب.
٢ ـ الاعتماد المتبادل بين الشعوب والذي ظهر نتيجة للثورة التكنولوجية.
٣ ـ نمو القوة الشيوعية وازدياد نفوذها في المجتمع الدولي.
٤ ـ ثورة شعوب العالم الثالث ضد الاستعمار وما صاحب هذه الثورة من ارتفاع طموحاتها القومية[2].

ونتيجة لزيادة الاهتمام بالعلاقات الدولية ظهرت رغبة جدية من قبل أساتذتها والهيئات العلمية والدولية المعنية بها لتحديد معالمها كفرع من فروع علم السياسة، وتجسيداً لهذه الرغبة اجتمع نخبة من علماء اليونسكو في باريس عام ١٩٤٨م. وتوصلوا في اجتماعهم الى تحديد المواضيع التي تدخل ضمن العلاقات الدولية وهي: السياسة الدولية، والمنظمات الدولية، والقانون الدولي[3]. ان ما يهمنا في هذا القسم من الكتاب هو السياسة الدولية حيث سنتناولها بالتفصيل. أما فيما يتعلق بالفروع الأخرى فهي اما سوف تعرض

١- الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية المجلد (١) القسم الاول ـ العلوم الاجتماعية. اعداد اليونسكو ترجمة جماعة من الاساتذة المتخصصين في العلوم الاجتماعية (سوريا، وزارة التعليم العالي، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٧٦م) ص. ٤١١.

2- E. Raymond Plating "International Relations as a Field of: Inquiry", James N. Rosenau - **International Politics and Foreign Policy, a reader in Research and Theory** (New York, Free press, 1969) M p.6.

٣ ـ د. حسن صعب علم السياسة (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٦م.) ص ١٣١٠ - ١٣٢٠

بايجاز كما هو الحال مع التنظيم الدولي حيث سنتناوله كعامل في المجتمع الدولي أو سوف تحذف كما هو الحال مع القانون الدولي الذي أصبح فرعاً مستقلاً عن علم العلاقات الدولية وفرعاً رئيسياً في علم القانون.

في حقل السياسة الدولية لا بد من التمييز بين ثلاثة مصطلحات رئيسية هي: السياسة الخارجية، السياسة الدولية والعلاقات الدولية. معظم الدراسات في حقل السياسة الدولية هي دراسة السياسة الخارجية **Foreign Policy** والتي يمكن تعريفها بأنها القرارات التي تحدد أهداف الدولة الخارجية والأعمال التي تتخذ لتنفيذ تلك القرارات[4]. أما السياسة الدولية **International Politics** فهي تهتم بعملية التفاعل بين دولتين أو أكثر. فالطالب الذي يحلل أعمال دولة ما نحو البيئة الخارجية، ونعني بها الدول، والاوضاع الداخلية التي تحدد فيها تلك الاعمال هو طالب يهتم اساساً بالسياسة الخارجية. أما الطالب الذي يرى اعمال دولة ما مجرد جزء من عملية تتكون من الافعال **Actions** أو الاعمال بواسطة دولة ما وردود الفعل **Reactions** أو الاستجابات من قبل دول أخرى هو طالب يهتم بالسياسة الدولية أو بعملية التفاعل **Inter-action** بين دولتين أو اكثر. فالسياسة الدولية كما عرفها سنيدر وزملاءه هي «أفعال وردود أفعال وتفاعلات بين وحدات تعرف بالدول القومية»[5]. اذا في حقل السياسة الخارجية والسياسة الدولية محور التركيز هو الدولة القومية. أما فيما يتعلق بمصطلح العلاقات الدولية **International Relations** فهو مصطلح يشير الى كافة أشكال التفاعل بين أعضاء المجتمع الدولي سواء كان الأعضاء دولاً أم لا. لذا فالعلاقات الدولية مثل السياسة الدولية تهتم بالتفاعل بين الدول القومية، الا انها في عملية تحليل التفاعل تشمل الى جانب الدول عوامل اخرى مثل الاتحادات النقابية عبر الاقليمية والمنظمات الدولية والشركات العالمية كما تشمل التجارة الدولية والقيم والمفاهيم والاخلاقيات الدولية[6].

4- K.J. Holsti, **International Politics: A Frame Work for Analysis.** (New Jersey, Englewood Cliffs., Prentice-Hall, 1972), p. 21.

5- R.C. Snyder, H.W.Branck and B. Sapin eds., **Foreign Policy Decision Making, An Approach to the Study of International Politics.** (N.Y.: The free press of Glecoe, 1962), p. 60

6- Holsti, **Op. Cit.,** p. 21.

obeikandl.com

الفصل الأول

المجتمع الدولي

لقد ظهر المجتمع الدولي الحديث رسمياً عام ١٦٤٨م.، عندما وقعت معاهدة وستفاليا Westphalia التي أنهت الحروب الدينية وأنشأت الدولة الاقليمية ذات السيادة القومية. ورغم انه في العقود الاخيرة من القرن العشرين وبالتحديد منذ عام ١٩٤٥م. مرّ المجتمع الدولي International Society بتغيرات هامة سواء من حيث عدد واهمية الوحدات الفعالة فيه، أو من حيث أشكال التفاعل بين تلك الوحدات، الا ان تركيبه الاساسي بقي كما هو. فهو لا يزال مجتمعاً Society تسيطر فيه الدول الاقليمية ذات السيادة القومية.

يمكن عقد مقارنة بين المجتمع الدولي الحديث والمجتمع القومي المعاصر حيث أن كلا منهما له: منتظم سياسي ينظم العلاقة بين أجزائه، وعوامل تساهم في صنع احداثه، وظواهر تؤثر في توجيه سياساته. فمثلما يوجد في المجتمع القومي منتظم سياسي يضم عدداً من المؤسسات السياسية والتي تعمل في نسق معين، نفس الشيء يمكن ان يقال عن المجتمع الدولي. فالمجتمع الدولي، ايضاً، له منتظم سياسي وان كان المنتظم السياسي الدولي أقل وضوحاً في حدوده وقواعده وتركيبه اذا ما قورن بالمنتظم السياسي القومي. وكما ان المجتمع القومي يوجد فيه عوامل سياسية تلعب دوراً في صنع السياسة القومية مثل السلطات الحكومية (التنفيذية ، التشريعية) والاحزاب، وجماعات المصالح، والرأي العام، فان المجتمع الدولى، ايضاً، يوجد فيه عوامل سياسية تلعب دوراً في صنع احداثه ومن هذه العوامل الدول القومية، المنظمات الدولية ، الشركات العالمية، والمنظمات الدينية والسياسية عبر الاقليمية.

وأخيراً يمكن المقارنة بين المفاهيم والقيم والايديولوجيات القومية التي تؤثر

في وجهة السياسة الوطنية سواء الداخلية أو الخارجية والظواهر الدولية مثل القومية والامبريالية التي توجد في المجتمع الدولي وتؤثر في وجهة سياسات أعضائه وفي تماسكه واستقراره[1].

1- H.R.Winter and T.J. Bellows, **People and Politics: An Introduction to Political Science** (New York John Wiley & Sons, 1977) p. 431-432.

obeikandl.com

المبحث الأول

المنتظم الدولي

يقصد بالمنتظم الدولي International System أي مجموعة من الوحدات السياسية المستقلة ـ دولة المدينة، اندولة القومية، والامبراطورية ـ التي تتفاعل في تكرار يمكن اعتباره وفقاً لعملية منظمة. لذا فلكي يكون هناك منتظم System لا بد من توفر مجموعة من الوحدات تعمل ككل بمقتضى التواقف (الاعتماد المتبادل) بينها[1]. ثم ان العمل أو التفاعل بين تلك الوحدات والتي تكون كل واحده منها جزءاً من الكل يجب ان يتكرر تكراراً يمكن اعتباره. فالتفاعل أو الاحتكاك مرة أو مرتين بين الاجزاء (الوحدات السياسية المستقلة) لا يكفي لايجاد المنتظم فقد يكون هذا التفاعل طارئاً لا يلبث ان يقف ثم يتحول الجزء الى وحدة مستقلة بحد ذاته وفي مثل هذه الحالة يقف المنتظم و ينتهي وجوده. اخيراً ان التفاعل في تكرار لابد أن يحدث وفق عملية منظمة تعطي انطباعاً لملاحظ المنتظم بأنه يعمل كأجزاء متكاملة ضمن نسق معين.

ان اهمية المنتظم السياسي لطالب العلاقات الدولية ترجع الى أن المنتظم هو البيئة التي تعمل فيها الوحدات السياسية الدولية (الدول وغيرها). فمعرفة البيئة شرط ضروري لرسم وتنفيذ السياسة الخارجية لأية دولة ولمعرفة طبيعة التفاعل بين الدول. ان اتخاذ القرار السياسي من قبل دولة ما وتحديد الوسيلة الاكثر فعالية لتنفيذه لا يكفي لضمان سياسة خارجية ناجحة بل لا بد من معرفة البيئة التي سوف ينفذ فيها القرار ومدى القيود التي سوف تفرضها تلك البيئة على القرار أو الحوافز التي تقدمها للقرار لحظة تنفيذه.

---

١ ـ لفهم ما هيو المنتظم والفرق بين كلمة منتظم ونظام، أنظر حسن صعب، **علم السياسة**، (بيروت، دار العلم للملايين ١٩٦٦م)، ص ٥٣ ـ ٥٨، أنظر أيضاً.

Anatol Rapoport, "Foreword", Walter Buckley ed. **Modern Systems Research for the Behavioral Scientists** (Chicago Aldine Publishin Company, 1968), p. XVII.

يمكن ان نميز بين مرحلتين في تطور المنتظم السياسي الدولي المعاصر. المرحلة الأولى بدأت بعقد معاهده «وستفاليا» عام ١٦٤٨م. وانتهت بقيام الحرب العالمية الأولى. أما المرحلة الثانية فهي بدأت منذ انتهاء الحري العالمية الأولى عام ١٩١٨م. ولا تزال مستمرة حتى الوقت الحاضر. ان اعتبار معاهدة وستفاليا كبداية للمنتظم السياسي الدولي المعاصر يرجع.الى حقيقة مفادها ان هذه المعاهدة أرست أسس العلاقات الدولية المعاصرة. فمن البدع التي أوجدتها هذه المعاهدة في العلاقات الدولية:

١ - تعتبر فاتحة لما سمي فيما بعد بدبلوماسية المؤتمرات. فمعاهدة وستفاليا كانت نتيجة لأول اجتماع عقد في هيئة مؤتمر بين رؤساء الدول من ملوك وأمراء.

٢ - أقرت مبدأ المساواة بين الدول دون النظر الى نظمها الداخلية جمهورية أو ملكية، أو مذهبها الديني، كاثوليكي أو بروتستانتي. لذا جسدت هذه المعاهدة أول خطوة نحو علمانية العلاقة الدولية.

٣ - أقرت نظام احلال البعثات الدبلوماسية الدائمة محل البعثات الدبلوماسية المؤقتة التي كانت قائمة. لا شك أن فكرة البعثات الدبلوماسية الدائمة وجدت قبل مؤتمر وستفاليا، لكن نظام البعثات لم يستقر و يتبلور الا بعد معاهدة وستفاليا وما تلاها من قواعد دبلوماسية وحصانات وامتيازات لرجال السلك الدبلوماسي.

٤ - اخذت بفكرة توازن القوى باعتبارها وسيلة للعمل على استبباب السلام في أوروبا. وملخص هذه الفكرة انه اذا حاولت دولة أن تتوسع على حساب غيرها من الدول فان الدول الأخرى يجب عليها ان تتحد ضدها لتحول بينها و بين هذا التوسع كي لا يختل توازن القوى[٢].

---

٢ - د. بطرس غالي، د. محمود عيسى، المدخل في علم السياسة، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٩م) ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

بعد هذا الموجز لأهمية معاهدة وستفاليا ودورها في ايجاد المنتظم السياسي الدولي المعاصر نأتي الى استعراض مراحل تطور هذا المنتظم.

المرحلة الاولى : وفي هذه المرحلة تميز المنتظم السياسي الدولي بعوامل وظواهر. فمن حيث العوامل كانت الدولة القومية هي العامل الوحيد في المجتمع الدولي حيث لم يكن لها من منافس. فلم توجد منظمات دولية مثل عصبة الأمم أو الأمم المتحدة ولا مؤسسات عبر قومية مثل الشركات العالمية. اما من حيث الظواهر فلم توجد الأ يديولوجية (العقيدة السياسية) بمعناها الفلسفي المعاصر، بل ظهرت بدلاً منها فكرة القومية تلك الفكرة التي ركزت على مباديء عامة مثل السيادة القومية والولاء القومي. كما أنه في هذه المرحلة كانت أوروبا هي مركز الثقل والتأثير في السيناسات الدولية، لأن أقوى الدول كانت تقع في أوروبا الغربية. بالاضافة الى ذلك تميز المنتظم السياسي الدولي المعاصر في مرحلته الأ ولى بانعدام الوسائل الاقتصادية والاعلامية كأدوات للسياسة الخارجية والتركيز فقط على الوسائل الدبلوماسية والعسكرية. أما الصراعات الداخلية فهي في هذه المرحلة لم تتعد حدود الدولة، بكلمة أخرى الصراعات الداخلية لم يكن لها آثار وردود فعل دولية. ثم ان المنتظم السياسي الدولي في هذه المرحلة لم يشهد فترات حرب باردة بل كان الوضع اما حرب ساخنة أو سلام. ومتى ما حدثت الحرب الساخنة ونعني بها الاستخدام الفعلي للقوات المسلحة، فانها تميزت بميزات جعلت طبيعتها تختلف اختلافاً جوهرياً عن طبيعة الحرب المعاصرة. فالقدرة على الهجوم المفاجيء كانت محدودة، كما ان الضربات الأ ولى التي توجه للعدو لم تكن قادرة على ارغامه على الاستسلام حيث ان الدولة رغم تلقيها الضربة الأ ولى كان بمقدورها التعبئة واستمرار القتال.

أخيراً، فان القوة الوطنية للدولة كانت مرادفة للقوة العسكرية فلم يكن لعناصر القوة الأخرى أهمية تذكر. بل ان قوة الدولة الوطنية كانت تقاس بقوتها العسكرية[٣].

---

٣ - د. اسماعيل صبري مقلد، **العلاقات السياسية الدولية : دراسة في الاصول والنظريات.** (الكويت جامعة الكويت، ١٩٧٩م)، ص ٤٧ - ٥٢، أنظر ايضاً:

K.J. Holsti, **International Politics: A framwork for Analysis** (New Jersey, Englewood Cliffs., Prentice-Hall 1972) p. 66-70.

المرحلة الثانية : أما المرحلة الثانية من مراحل تطور المنتظم السياسي الدولي فتميزت بظهور عوامل وظواهر جديدة لم تكن موجودة في المرحلة الأولى. فمن حيث العوامل تميزت هذه المرحلة بزيادة عدد العوامل المؤثرة في السياسة الدولة حيث أصبحت الدول القومية، والتي ازداد عددها في تلك المرحلة، ليست العامل الوحيد في المجتمع الدولي. لقد ظهرت المنظمات الدولية العالمية منها والاقليمية لتلعب دوراً بارزاً في المجتمع الدولي، كما برز دور الشركات العالمية وحركات التحرير الوطنية في التأثير في مجرى السياسة الدولية[4].

أما من حيث الظواهر فلقد كان أبرزها ظهور الايديولوجية كقوة مؤثرة في سياسة العديد من الدول خصوصاً الدول القوية في المجتمع الدولي مثل المانيا وايطاليا قبل الحرب العالمية الثانية وأمريكا وروسيا بعدها. كما ان مركز القوة في المجتمع الدولي انتقل من أوروبا، موقعه التقليدي، الى مواقع جغرافية جديدة هي روسيا وأمريكا. بالاضافة الي ذلك برزت وسائل جديدة للسياسة الخارجية هما الاعلام والادوات الاقتصادية، وبدأت تلك الوسائل تنافس في تأثيرها الوسائل الأخرى ونعني بها الدبلوماسية والقوات المسلحة. ولم يقتصر التطور على هذا التغير بل شهدت هذه المرحلة من مراحل تطور المنتظم السياسي الدولي بدعاً جديدة أخرى. فتدويل الصراعات الداخلية أصبح معترفاً بها. فما يقع من احداث داخلية في أية دولة (ايران مثلاً) يولد سلسلة من ردود الفعل الفورية والقوية في اجزاء مختلفة من العالم خصوصاً تلك الدول المهتمة بواقع القوة في المجتمع الدولي مثل روسيا وأمريكا وحلفائهما. كما ظهرت الحرب الباردة في الخمسينيات والستينيات والوفاق في السبعينيات. هذه المصطلحات (الحرب الباردة والوفاق) لم تكن معروفة في المرحلة الأولى من مراحل تطور المنتظم السياسي الدولي، لانه كما سبق وان ذكرنا الوضع في المرحلة الأولى كان اما حرباً أو سلاماً حيث لم يكن هناك وضع وسط يسمح بظهور الحرب الباردة أو الوفاق. بالاضافة الى ذلك تميزت هذه المرحلة باتساع وعمق القوة التدميرية للاسلحة المستخدمة وبالتطور السريع لوسائل استخدامها. فالقدرة على الهجوم المفاجيء

4- Joseph Frankel. **International Relations** (New York, Oxford: University Press, 1969) p. 16-25.

أصبحت ممكنة ولها أهمية كبيرة في تحديد مجرى الحرب. كما أن الضربة الأولى قد تكون قاضية، لأن الدولة التي تتعرض لها قد لا تجد وقتاً كافياً للتعبئة مرة أخرى. ان القوة التدميرية للاسلحة المعاصرة والتطور في وسائل استخدامها قد جعل الحرب متى ما بدأت تنتهي بسرعة، وجعل التفكير في الاقدام عليها أمراً غير مرغوب فيه[٥].

أخيراً فان الرأي العام الوطني (القومي) والاعتماد المتبادل بين الدول هما آخر الظواهر التي برزت في المرحلة الثانية، حيث برز الرأي العام كقوة سياسية مؤثرة بعد الحرب العالمية الثانية وبرز الاعتماد المتبادل كظاهرة دولية في أوائل السبعينيات. فمن حيث الرأي العام أصبحت مشاركة الشعوب في رسم سياساتها القومية الداخلية منها والخارجية أمراً معترفاً به خصوصاً في الأمم المتحضرة. وأصبح لتلك المشاركة دور كبير في التأثير على سياسات الدول الخارجية وعلى استقرار المجتمع الدولي. أما من حيث الاعتماد المتبادل بين الدول فلقد برز بشكل ملحوظ منذ أوائل السبعينيات وزاد من أهميته في العلاقات الدولية القيود التي فرضها على السياسة الخارجية للعديد من الدول. ولم يظهر هذا الاعتماد المتبادل في علاقات الدول المتقدمة في العالم الأول والثاني فقط، بل ظهر ايضاً في علاقات الدول النامية في العالم الثالث والرابع وفي علاقات الدول المتقدمة مع الدول النامية.

---

٥ - مقلد ، المصدر نفسه، ص ٥٢ - ٥٨.